ظاهرة الشغب

على العلماء والتنفير عنهم

تأليف

عمرو عبد المنعم سليم



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م

رقم الإيداع: ٢٧٥٣

مكتبة ابن عباس

سمنود - جمهورية مصر العربية
شارع الثورة بجوار سنترال الدولية
هاتف وفاكس: ٠٤٠٢٩٦٧٣٦٨ محمول: ٠١٢٣٤٦١٨٩٦

دار الآثار للنشر والتوزيع

٢٨ش منشية التحرير - عين شمس الشرقية - القاهرة
جمهورية مصر العربية
ت وفاكس: ٦٤٢٢٣٢٣ - ٦٣٦٣٧٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وأَنْتُمْ مُسْلِمُون ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَام إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِح لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠و٧١].

« أما بعد » :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ،وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار.

وبعد :

فإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ، ولا دينارًا ، وإنما ورثوا العلم ، علم الشرع والدين ، فذلك ميراثهم الذي ورثه العلماء عنهم ، فأصبحوا به نجوم الدجى في الظلمات ، يهتدي بهم المهتدي ، ويسترشد بهم المسترشد ، لا يضل من اتبع أثرهم ، ولا من اقتدى بخطهم.

ولايزال السلف الصالح - رحمهم الله أجمعين - يعلمون لأهل العلم قدرهم ، وينزلونهم منزلتهم ، لا

يختلفون عليهم اختلاف الضلال ، ولا يتبعونهم في زلاتهم اتباع المغضوب عليهم ، بل هم بأمرهم قائمون، وعلى خطاهم سائرون ، ما اقتدوا بكتاب الله تعالى ، وبسنة نبيهم ﷺ .

فإن كانت الزلة من أحدهم ، أو الخطأ من بعضهم ، أحسنوا فيه الظن ، وتركوا المتابعة له فيما زل فيه ، مع الاعتذار الجميل عنه .

وأما اليوم فقد ظهرت تلك الظاهرة الشنعاء ، والبلية الدهماء ، ظاهرة التشغيب على العلماء ، في أقوالهم ، وأفعالهم ، وفتاويهم ، من الجاهل قبل العالم ، ومن الصغير الساذج ، قبل الكبير الحكيم.

فهذه شروش من هدي من سبق من أهل الضلال والحيدة عن الاستقامة والسنة ، التشنيع على العلماء ، والشغب عليهم فيما صغر أو كبر ، فيما احتُمل أو لم يُحتمل ، فكان ماذا ؟

أن سقطت هيبة العلم وأهله في النفوس ، ونصَّب العامي نفسه قاضيًا ، والخصم حاكمًا ، والجاهل مرشدًا ، فضل بتلك القسمة المعكوسة الكثير ، وبذلك المنهج المنكوس العديد .

ووراء هؤلاء جميعًا من يدفعهم إلى الشغب والتشغيب ، ونشر الدعاوي الفارغة ، والترويج للزلات المزعومة ، ويحدوهم من يطلق عبارات الدفاع عن الدين ، والذب عن عرض العقيدة الإسلامية .

فالله أكبر،ما أعظم البلية اليوم بمثل هذه الظاهرة، التي امتطاها من يروم الاجتهاد في عقائد الدين وعباداته، وهو بعد لم يتضلع من علومها شيء ، فهو فرخ لم يريِّش.

فأردت التنبيه على هذه الظاهرة ، تحذيرًا من نتائجها وآثارها ، وحثًا لإخواني من طلبة العلم الكرام على عدم الركون إليها في شيء ، بل بذل أنفسهم في

الذب عن أعراض أهل العلم الذين بذلوا كرائم أنفاسهم وأوقاتهم وجهودهم في بيان السنن وما يضادها من البدع ، وفي الدعوة إلى دين الله تعالى على بصيرة وبينة مقتدين بسلفنا الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين - .

فأسأل الله تعالى أن يكون في تصنيف هذه الرسالة اللطيفة أداء بعض حق أهل العلم علينا من الذب عن أعراضهم ، وأن يكون فيها النفع لي ولإخواني من طلبة العلم ، إنه على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين.

وكتب : أبو عبد الرحمن : عمرو عبد المنعم سليم .

* * *

فضل أهل العلم وحرمتهم

اعلم - رحمنا الله وإياك - :

أن العلماء قد ورثوا أنبياء الله فيما خلفوه من العلم والهدي ،وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال :

« إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ».[(١)]

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن ، فشربت حتى إني

---

(١) وهو حديث ضعيف ، وقد خرجته في كتاب «أخلاق العلماء» للآجري (٨) ، وإنما أوردته استئناسًا ، وقد صححه الشيخ الألباني - رحمه الله - .

لأرى الرى يخــرج فى أظفــارى ، ثم أعطيت فــضلى عمر بن الخطاب ».

قالوا : فما أوّلته يا رسول الله ؟

قال : « **العلم** » .(١)

وقــد أثنى الله تعــالى في غيــر مــوضع على أهل العلم والمعرفة ، فقال سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة : ١١]

---

(١) أخرجـه ابن أبى عاصم فى « السنة » (١٢٥٥)، والبـخارى (فـــتح : ١٤٦/١) ، ومـــسلم (١٨٥٩/٤)، والـتـــرمـــذى (٢٢٨٤)، والنســائى فى « الكبـرى »(تحـفـة :٣٣٨/٥)، والدارمى (٢١٥٤) من طريق: حمزة بن عبدالله بن عمر ، عن ابن عمر به.

وقال عز من قائل :

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾.

[البقرة: ٢٦٩].

وقال تبارك اسمه :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر : ٢٨].

وجعل طاعتهم من الواجبات المتحتمة .

فقال عز من قائل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء :٥٩].

قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - :

أولوا الفقه والخير.[١]

وقال مجاهد بن جبر - رحمه الله - :

أهل العلم.[٢]

قلت : وهو قول جماعة من السلف [١].

فإن كان العلماء هم ورثة الأنبياء ، فهم في كل عصر وأوان من يوقع عن الله تعالى وعن رسوله الكريم ﷺ الأحكام ، فالاختلاف عليهم في هذه الأحكام بلية كبرى ، والتشغيب عليهم بزلة وقعت من أحدهم

---

(١) أخرجه ابن جرير (٨/ ٤٩٩) ، والآجري في «أخلاق العلماء» (٥) **بسند حسن**.

(٢) أخرجه ابن جرير (٨/ ٥٠٠) **بسند صحيح**.

(٣) وهو قول الحسن ، وعطاء بن السائب ، وجماعة ، ولا ينافي قول من قال : المقصود بهم الأمراء.

مصيبة عظمى ، فإن الرجل الحكيم قد يُلقي الشيطان على فيه كلمة السوء بغير قصد إليها ، وإنما لضعف رأي ، أو لشبهة وردت عليه ، فمثل هذا إن كان ديدنه الانتصار للحق ، واتباع السنة ، أن يُعتذر عنه بالجميل، لا أن يُشهر به على التنكير والتضليل.

ولا يزال أهل الديانة والرشاد والاستقامة على السنة يعتذرون عن أهل العلم بالجميل فيما أخطأوا في وصفه ، أو زلوا في حكمه ، أو خالفوا في رسمه .

بل قيَّدوا في عقيدة الأمة أن من رأيته يقع في أحد من أهل السنة فاتهمه في دينه .

فهذا عموم ، خصصوه في كل عصر بأسماء من اشتهر بالسنة والفضل والاستقامة على طريقة السلف من أهل العلم .

فخصوا بذلك بعض الأجلة : كـ : سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، والأوزاعي ، وشعبة ،

وابن المبارك ، . . وجماعة .

ثم من الطبقة التي تليهم : يحيى بن يحيى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، . . .

وهكذا في كل عصر ذكروا أئمة العلم من أهل السنة والجماعة .

وعلى النقيض من ذلك ذكروا أن من علامات أهل البدع الطعن في أمثال هؤلاء الأئمة السلفيين والعلماء الأثريين .

فتلازمت عبارتهما :

إذا رأيت الرجل يحب ... فاعلم أنه صاحب سنة.

و إذا رأيت الرجل يسب ... فاعلم أنه صاحب بدعة .

* * *

الاختلاف على العلماء ومغالطتهم

فإذا كان للعلماء هذه المكانة المرموقة ، وتلك الفضيلة المرسومة ، بنص الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وإذا كانوا هم ورثة الأنبياء في علوم الشرع والدين ، فالاختلاف عليهم في الدين بمنزلةِ الاختلاف على الأنبياء فيه.

وقد حذَّر النبي ﷺ من ذلك أشد التحذير ، فقال ﷺ :

« إنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم » .[(١)]

ومن الاختلاف على أهل العلم : مغالطتهم في

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٣) من طريق : أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة به.

أحكامهم ، بإلقاء الأغلوطات عليهم تعنتًا لا تعلمًا ، واستزلالاً لا استنصاحًا .

والأغلوطات كما قال الأوزاعي - رحمه الله - : هي **شرار المسائل** ، ومفردها : أغلوطة .

قال الخطابي :[1]

« **هي المسألة التي يعيا بها المسئول ، فيغلط فيها ، كره ﷺ أن يُعترض بها العلماء ، فيُغالطوا ليستزلوا ، ويستسقط رأيهم فيها** » .

قلت : قد كره أهل العلم المغالطة في العلم ، لإسقاط قول الغالط ، أو لاستزلاله .

قال أبو بكر الآجري - رحمه الله - :[2]

« **هذا كله مكروه منهي عنه ، لا يعود على من**

(١) « غريب الحديث » : (١/ ٣٥٤).

(٢) « أخلاق العلماء » : (ص: ١٢٠).

أراد هذا منفعـة في دينه ، وليس هذا طريق من تقدَّم من السلف الصالح ، ما كان يطلب بعضهم غلط بعض ، ولا مرادهم أن يخطيء بعضهم بعضًا ، بل كانوا علماء عقلاء ، يتكلمون في العلم مناصـحة ، وقد نفعهم الله بالعلم » .

وقال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - :[١]

« ورد النهي عن كـثرة المسـائل ، وعن أغلوطات المسائل ، وعن المسائل قبل وقوع الحوادث » .

ومن ذلك امـتحـانهم في اعتـقاداتهم ، والأخـذ بمجمل أقوالهم تدليلاً على غلطهم وسقطهم .

* * *

---

(١) « فضل علم السلف على الخلف » : (ص: ٣٤).

التشغيب على الإمام البخاري
في مسألة اللفظ

من ذلك : ما وقع مع الإمام البخاري - رحمه الله- حينما دخل بخارى ، فاجتمع إليه الناس ، فسأله أحدهم عن اللفظ في القرآن ، فقال :

أفعالنا مخلوقة ، وألفاظنا من أفعالنا .

فشغبوا عليه بهذه المقولة ، ونسبوه إلى اللفظ ، واستخدمها محمد بن يحيى الذهلي - رحمه الله - وهو من أئمة أهل السنة والجماعة ، فتكلَّم في البخاري أنه يقول باللفظ ، وراسل بها أبا حاتم وأبا زرعة الرازيين ، فامتنعا عن التحديث عن البخاري ، كما ورد في ترجمته من «الجرح والتعديل».

وإنما دفع الذهلي إلى ذلك الحسد في العلم[1]، فقال: .**ألا من يختلف إلى مجلسه، لا يختلف إلينا، فإنهم كتبوا إلينا من بغداد: أنه تكلم في اللفظ، ونهيناه، فلم ينته، فلا تقربوه، ومن يقربه فلا يقربنا**.[2]

فقال الإمام البخاري - رحمه الله -:

كم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم، والعلم رزق الله يعطيه من يشاء.[3]

وأما من أحسن الظن في الإمام البخاري، ممن عرف اعتقاده ومنهجه، فلم يرفع بمثل هذا التشنيع رأسًا، ولم يُعره انتباها، وهو ما فعله تلميذه وخرِّيجه الإمام

(1) وقد كان أولاً يحث الناس على البخاري في أول قدومه إلى بخارى.

(2) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (2/ 31) **بسند صحيح**.

(3) أخرجه الحاكم في «تاريخ نيسابور» كما في «السير» للذهبي (12/ 457) **بسند حسن**.

مسلم بن الحجاج ، صاحب «الصحيح» ، فإن الذهلي لما قال تلك المقولة ، وكان مسلم جالسًا في مجلسه ، فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته ، وقام على رؤوس الناس ، ثم بعث إليه بما كتب عنه على ظهر جمَّال.(١)

ثم انظر اليوم ما ثبت في ذلك ، وكيف أعلى الله تعالى الإمام البخاري بكتابه «الصحيح» ، وبكتابه «خلق أفعال العباد» ، وكيف أنزل «الصحيح» تلك المنزلة العظيمة ، في كونه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ، واجتماع أهل العلم عليه ، واتفاقهم على صحة مافيه ، خلا بعض الأحرف اليسيرة المنتقدة عليه.

ثم كيف نال كتابه الآخر «خلق أفعال العباد» تلك المكانة العالية ، بحيث أصبح مرجعًا يُرجع إليه عند كل نازلة من نوازل هذه المسألة التي امتحن فيها - رحمه الله - .

* * *

(١) « سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢/ ٥٧٢).

التشغيب على ابن حبان
في مسألة الحد

ومن ذلك - **أيضًا** - : ما وقع لأبي حاتم السجستاني صاحب «الصحيح» في مسألة إثبات الحد لله تعالى.

قال أبو إسماعيل الأنصاري : سمعت يحيى بن عمّار الواعظ ، وقد سألته عن ابن حبان ، فقال :

نحن أخرجناه من سجستان ، كان له علم كثير ، ولم يكن له كبير دين ، قدم علينا ، فأنكر الحد لله فأخرجناه. (١)

قلت : يحيى بن عمار الواعظ - رحمه الله - كان متشددًا في الإثبات بحيث يتجاوز طريقة السلف.

(١) «السير» للذهبي : (١٦/ ٩٧).

قال الحافظ الذهبي :[١]

« كان متحرِّقًا على المبتدعة والجهمية ، بحيث يؤول به ذلك إلى تجاوز طريقة السلف ».

وقال :[١]

« إنكاركم عليه بدعة أيضًا ، والخوض في ذلك مما لم يأذن به الله ، ولا أتى نص بإثبات ذلك ، ولا بنفيه . . . وتعالى الله أن يُحد أو يوصف إلا بما وصف به نفسه ».

قلت : ورد عن الإمام أحمد - رحمه الله - روايتان في الحد ، إحداهما بالإثبات والأخرى بالنفي، والرواية الثانية هي الأصح ، وهي موافقة لمذهب أحمد وغيره من الأئمة في إمرار الصفات دون التعرض

---

(١) « السير» : (١٧/ ٤٨١).

(٢) « السير» : (١٦/ ٩٧).

لكيفـيتهـا أو الزيادة في التفـصيل والبيـان بما لم يرد به الشرع .

وهذه الرواية قد ذكـرها شيخ الإسلام ابن تيمـية كما في «مجموع الفتاوى»(٥/ ٤٩٦) قال :

« قال حنبل بن إسحاق في كتاب «السنة» : قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل : مـا معنى قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ** ﴾ و ﴿ **مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ وَهُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ إلى قـوله : ﴿ **إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا** ﴾ قال : علمه ،عالم الـغيب والشهادة، مـحيط بكل شيء ، شـاهد ، عـلاَّم الغيـوب ، يعلم الغـيب ، **ربنا على العرش بل حد ولا صـفة ، وسع كرسيه السموات والأرض** ».

* * *

التشغيب على أبي عبد الرحمن النسائي
- رحمه الله - صاحب «السنن»

ومن شُغِّب عليه حتى قُتل أبو عبد الرحمن أحمد ابن شعيب النسائي - رحمه الله -.

فقد روى الحاكم، عن أبي الحسن الدارقطني - رحمهما الله - قال: (١)

« كان أبو عبد الرحمن النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار، وأعلمهم بالرجال، فلما بلغ هذا المبلغ، حسدوه، فخرج إلى الرملة، فسئل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع، فقال: أخرجوني إلى مكة، فأخرجوه إلى مكة وهو عليل، وتوفي بها

(١) « تهذيب الكمال » (١/٣٣٨).

مقتولاً شهيداً ».

قلت: فليبك على العلم والإنصاف من كان باكيًا، فإن النسائي - رحمه الله - لم يصح عنده في فضائل معاوية حديث ، وقد تقدَّم هذا عن بعض العلماء ، وترك تخريج الأحاديث في هذا الباب لا توجب سوءً في الاعتقاد .

هذا وإن كان قد ثبت في فضل معاوية - رضي الله عنه - حديث مرفوع عن النبي ﷺ ، قال :

« **اللهم اهده ، واهد به ، واجعله هاديًا مهديًا** ».

وقد توسعت في الكلام عليه في كتابي « **دفاعًا عن السلفية** ».

* * *

التشغيب على محمد بن جرير الطبري

- رحمه الله - «صاحب التفسير»

ومن ذلك ما شغَّب به بعض الجهال من المتفقهة المنتسبين إلى المذهب الحنبلي على ابن جرير الطبري ، لما كان بينه وبين أبي بكر بن أبي داود من خصومة.

قال الحافظ الذهبي - رحمه الله - في «السير» (١٤/ ٢٧٧) :

« كانت الحنابلة حزب أبي بكر بن أبي داود ، فكثروا وشغبوا على ابن جرير، وناله أذى ، ولزم بيته».

قلت : وشنَّع عليه بيسير التشيع ، قال الذهبي : « وما رأينا إلا الخير ».

قلت: اعتقاده في التفضيل موافقة لمذهب السلف، والنقول عنه في ذلك مثبتة لحسن اعتقاده - رحمه الله-

وعلماء عصره قد عرفوا له محله ، وما كان بينه وبين ابن أبي داود لا يمنع أن يكون كلٌّ منهما قد علم لصاحبه منزلته، وإنما الشغب من الجهَّال والعامة من المتفقهة أصحاب الصيحات والطبوليات ، حتى منعوا الناس من الدخول عليه كما في «تاريخ الإسلام» وفيات ٣١٠هـ (ص: ٢٨١).

* * *

التشغيب على أبي نعيم الأصبهاني
- رحمه الله - صاحب « حلية الأولياء»

قال الحافظ في ترجمته من «السير» (١٧/ ٤٥٩):

قال أبو طاهر السِّلفي : سمعت أبا العلاء محمد ابن عبد الجبار الفرساني يقول : حضرت مجلس أبي بكر بن أبي علي الذكواني المعدّل في صغري مع أبي ، فلما فرغ من إملائه ، قال إنسان : من أراد أن يحضر مجلس أبي نعيم فليقم ، وكان أبو نعيم في ذلك الوقت مهجوراً بسبب المذهب ، وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصب زائد يؤدي إلى فتنة ، وصداع طويل ، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام ، وكاد الرجل يُقتل.

قال الحافظ الذهبي :

« ماهؤلاء بأصحاب الحديث ، بل فجرة جهلة ، أبعد الله شرهم » .

قلت : كان الكلام بين ابن منده وأبي نعيم شديدًا للاختلاف بينهم ، ومن نسب أبا نعيم إلى التمشعر فقد أخطأ عليه ، بل لا تزال النقول عنه ترد بصفاء العقيدة وصحتها وموافقتها لمذهب السلف ، وقد أكثر شيخ الإسلام النقل عنه في «الفتاوى» ، وفي « درء تعارض العقل والنقل» ، وكذا الذهبي في «العلو» ، وابن القيم في «اجتماع الشيوخ الإسلامية» ، بما يدل على صحة اعتقاده وموافقته لمذهب السلف ، وإنما نسبه ابن عساكر إلى التمشعر كما نسب جماعة غيره لا يصح نسبتهم إلى مذهب الأشعري كالخطيب ، وقد بينت ذلك تفصيلاً في كتابي «دفاعًا عن السلفية» ، وفي «الأصول التي بنى عليها الغلاة» ، وإنما الذي وقع فيه الخلاف بين أبي نعيم وبين ابن منده كما أورده شيخ الإسلام في

«الدرء» (١/٢٦٨) هو مسألة اللفظ ، فذهب أبي نعيم إلى أن التلاوة مخلوقة ، وخالفه ابن منده فقال غير مخلوقة ، وهذه مسألة قديمة ، وقع فيها بلاء عظيم ، والتفصيل ذكره البخاري - رحمه الله - في «خلق أفعال العباد» ، وقد امتُحن فيها البخاري ، وأطلق العلماء القول بتجهيم اللفظية سدًا للذرائع ، وحسمًا لتسلق أهل البدع بهذه العبارة الموهمة على عقول العامة ، وتلبيسهم الاعتقاد عليهم ، وأما أبا نعيم فإنما قصد الحركات والاكتسابات ونحوها ، وأما القرآن فلم يقصد إليه بمثل هذا القول ،والله أعلم ، فكأن ما وقع بينه وبين ابن منده كالذي وقع بين البخاري وبين الذهلي - رحم الله الجميع -.

وقد منع ابن منده كل من كان يدخل على أبي نعيم أن يسمع منه أو يدخل عليه ، وكان يتكلم في أبي نعيم بكلام فجٍّ شديد.

قال الذهبي في ترجمة ابن منده في «السير» (١٧/ ٤١) :

« ربما آل الأمر بالمعروف بصاحبه إلى الغضب والحدَّة ، فيقع في الهجران المحرَّم ، وربما أفضى إلى التفكير والسعي في الدم ، وقد كان أبو عبد الله وافر الجاه والحرمة إلى الغاية ببلده ، وشغَّب على أحمد بن عبد الله الحافظ ، بحيث إن أحمد اختفى ».

قلت : هما على ذلك من أوعية العلم والفضل والحرمة والحشمة ، وإنما تتأجج الفتن بتشغيب العامة والجهلة من صغار الطلبة.

ثم وجدت بعد الحافظ الذهبي قد نقل عنه في «العلو» (٥٦١) من كتاب « الاعتقاد » له قوله :

« وأن القرآن كلام الله ،وكذلك سائر كتبه المنزلة، كلامه غير مخلوق ، وأن القرآن في جميع الجهات مقروءًا ومتلواً ومحفوظًا ومسموعًا ومكتوبًا وملفوظًا

كلام الله حقيقة ، لا حكاية ، ولا ترجمة ، وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق ، وأن الواقفة واللفظية من الجهمية ، وأن من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد به خلق كلام الله ، فهو عندهم من الجهمية ».

قلت : فهذا موافق لاعتقاد السلف وأئمة الأمة ، وإنما وقع الخلاف بينهما في التلاوة ، فالظاهر أن أبا نعيم أراد بها الفعل والاكتساب من العبد ، فأطلق الخلق عليها ،وهذا في حقيقته موافق للصواب الذي ذكره أبو عبد الله البخاري - رحمه الله - .

***

التشغيب على أبي بكر الخطيب البغدادي - رحمه الله -

ومن ذلك أيضًا تشغيب أهل الريب والفساد من أهل البدع والأهواء على أئمة أهل السنة بمستفظعات التهم ، ومستقذرات الريب ، كما وقع للخطيب البغدادي - رحمه الله - مصنف التاريخ الحافل الكبير «تاريخ بغداد ».

قال محمد بن طاهر : حدثنا مكي بن عبد السلام الرميلي ، قال :[1]

كان سبب خروج الخطيب من دمشق إلى صور ، أنه كان يختلف إليه صبي مليح، فتكلَّم الناس في ذلك، وكان أمير البلد رافضيًا متعصبًا ، فبلغته القصة ، فجعل

(١) « السير » للذهبي (١٨/ ٢٨١).

ذلك سببًا إلى الفتك به.

قلت : الخطيب أورع من هذا ، وإنما هي قصة لفقت له بسبب أنه كان يُقذع أسماع الرافضة آنذاك بإسماع كتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد ، وفضائل العباس - رضي الله عنه - لابن رزقويه ، وكانت الدولة آنذاك دولة رفض ، ومذهبهم سب الصحابة والطعن في كبرائهم بما هو معلوم من مذهبهم ، فخرج من دمشق إلى صور - رحمه الله تعالى -.

* * *

التشغيب على شيخ الإسلام
أبي إسماعيل الهروي - رحمه الله -

ومما نال بعض أئمة السنة والأثر في هذا الباب التشغيب عليهم في الاعتقاد ، بأنهم حشوية مجسمة يعبدون صنمًا ، كما وقع لأبي إسماعيل الهروي شيخ الإسلام - رحمه الله -.

قال ابن طاهر :[1]

وسمعت أصحابنا بهراة يقولون :

لما قدم السلطان ألب أرسلان هراة في بعض قدماته ، اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ، ودخلوا على أبي إسماعيل ، وسلموا عليه ، وقالوا : ورد السلطان، ونحن على عزم أن نخرج ، ونسلِّم عليه ، فأحببنا أن

(١) « السير » للذهبي (١٨/ ٥١٢).

نبدأ بالسلام عليك ، وكانوا قد تواطأوا على أن حملوا معهم صنمًا من نحاس صغير ، وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ ، وخرجوا ، وقام الشيخ إلى خلوته ، ودخلوا على السلطان ، واستغاثوا من الأنصاري ، وأنه مجسِّم ، وأنه يترك في محرابه صنمًا يزعم أن الله تعالى على صورته ، وإن بعث السلطان الآن يجده ، فعظم ذلك على السلطان ، وبعث غلامًا وجماعة ، فدخلوا ، وقصدوا المحراب ، فأخذوا الصنم ، فألقى الغلام الصنم ، فبعث السلطان من أحضر الأنصاري ، فأتى فرأى الصنم والعلماء ، وقد اشتد غضب السلطان ، فقال له السلطان : ما هذا ؟ قال : صنم يُعمل من الصفر شبه اللعبة ، فقال : لست عن ذا أسألك ، قال : فعمَّ يسألني السلطان ؟ قال : إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا ، وأنك تقول : إن الله على صورته ، فقال شيخ الإسلام بصولة وصوت

جهوري : سبحانك ! هذا بهتان عظيم ، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه ، فأمر به ، فأخرج إلى داره مكرمًا ، وقال لهم : اصدقوني ، وهددهم ، فقالوا : نحن في يد هذا في بلية من استيلائه علينا بالعامة ، فأردنا أن نقطع شره عنا ، فأمر بهم ، ووكَّل بهم ، وصادرهم ، وأخذ منهم ، وأهانهم.

قلت : نعم هذه نهاية كل من شغب على إمام عالم متبع ، الأهانة ، وسقوط الهيبة ، وذلة النفس.

* * *

التشغيب على شيخ الإسلام
ابن تيمية - رحمه الله -

وقد نال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - النصيب الأوفر من التشغيب حوله في عصره ، لا في مسائل الاعتقاد التي خالف فيها أهل الأهواء والبدع من الأشاعرة والمعتزلة ، والطرقيين من الصوفية ، بل وفي مسائل الأحكام أيضًا كحكم شد الرحال إلى قبور الصالحين ، وقصدها لأجل التعظيم والزيارة ، وكمسألة اليمين المعلق بالطلاق.

والقاصي والداني يعلم ما نال هذا الإمام الكبير في سبيل بيان السنة في هذه المسائل ، وكيف أنه سُجن، وكيف أنه ابتلي بالكلام في اعتقاده ، حتى وصفوه بالنفاق والزندقة ، والعياذ بالله ، فلا يزال

صابرًا على قوله حتى توفاه الله تعالى في حبسه.

وقد ذكر الحافظ ابن حجـر في ترجمته من «الدرر الكامنة»(١/ ١٥٤) بعض ما شُنِّع به على شيخ الإسلام، وجملة مما شُغب به عليه ، قال :

« فذكروا أنه ذكر حديث النزول ، فنزل عن المنبر درجتين ، فقال : كنزولي هذا ، فنُسب إلى التجسيم ، ورده على من توسل بالنبي ﷺ أو استغاث ، فأُشخص من دمشق. . . ».

وقال : « فمنهم من نسبه إلى التجسيم لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك : كقوله : إن اليد والساق والوجه صفات حقيقية لله تعالى ، وأنه مستو على العرش بذاته. . . . ، ومنهم من ينسبه إلى النفاق ».

قلت : أما إثبات صفات الرب تعالى على الحقيقة على مذهب السلف دون الخوض فيما خاض فيه الخلف

من التأويل أو التعطيل فهو الصواب ، ومثل هذا لا يُشغب على صاحبه ، وأما ما ذكروه عنه من النفاق وأنه كان يقع في علي - رضي الله عنه - فهذا كلام المخذولين من الصوفية والأشاعرة الحاقدين عليه ، وكذلك قولهم أنه قال : نزول كنزولي ، فمعاذ الله أن يقع منه التشبيه لصفات الرب تعالى ، وإنما هو التشغيب من جهلة عصره ، والحساد من معاصريه.

فانظر - رحمك الله - أين خصومه الذين خاصموه ، وأين أعداؤه الذين شغبوا حوله ، وأين ما تركوه من مصنفات وعلوم ، أو فتاوى وآراء ؟

ثم انظر كيف علا نجم الشيخ - رحمه الله تعالى- بعد موته ، وانظر إلى فتواه في اليمين المعلق بالطلاق كيف أُقر العمل بها في غالب دول الإسلام ، وكيف أخذ بها أهل القضاء والفتيا في البلاد.

ثم انظر إلى مصنفاته وعلومه ، وفتاويه ودروسه،

لم يُعتنى بشيء من مصنفات العلماء كما اعتُني بها ، بل هي محط أنظار الدارسين والمحققين في كل زمان ومكان ، فيها بركة العلم بادية ظاهرة.

* * *

الأسباب الداعية إلى التشغيب على العلماء والتنفير عنهم

وأما الأسباب الداعية إلى التشغبب على العلماء والتنفير عنهم :

فأولها : اختلاف المذاهب ، فإن ذلك قد أثار كثير من الشحناء بين الناس ، كل يرى أنه على الصواب والحق الذي لا محيد عنه ، وغيره على الخطأ والضلال.

فأما جريرة التعصب والمذهبية فمعلومة منذ القديم، ذلك التعصب والجمود المذهبي الذي أوجب تفريق الجماعات في المسجد الواحد ، إلى شافعية ، وحنبليةج ، وحنفية ، ومالكية ، مع أن كلمة الإسلام تجمعهم جميعًا ، والصلاة جائزة خلف كل بر وفاجر ،

كما هو معلوم في اعتقاد الأمة.

وهي التي أوجبت في القديم السؤال عن حكم نكاح الحنفي وليته من شافعي ، وعكسه ، ونحوه.

وهي التي أوجبت الوقيعة بين كثير من العلماء ، وترك الصلاة خلف بعضهم ، فما أعظم البلية بذلك.

وهي التي دفعت الكوثري الحنفي إلى تسطير أباطيله في تأنيب الخطيب البغدادي ، لما أورده في ترجمة أبي حنيفة النعمان من «تاريخ بغداد» ، ومن قبله أبي المظفر الحنفي ، فتحايلا في إبطال هذه الترجمة تحايلاً عجيبًا أوجب عليهما التدليس والطعن في أئمة الدين ، كما تراه مبسوطًا في « تنكيل » المعلمي رحمة الله عليه .

ثم **ثانيها** : الاختلاف في العقائد ، وهي كما قال ابن دقيق العيد – رحمه الله – :

« أوجبت تكفير الناس بعضهم لبعض ، أو تبديعهم ، وأوجبت عصبية اعتقدوها دينًا يتدينون به ، ويتقربون به إلى الله تعالى ، ونشأ من ذلك الطعن بالتكفير أو التبديع »[١].

قلت : الاختلاف في العقائد الذي يوجب مخالفة اعتقاد أهل السنة والجماعة لا كلام في ذمه ، بل الواجب التحذير ممن اعتقد ما يخالف اعتقاد أهل السنة والجماعة ، ومذهب السلف في هذا الباب مشهور معروف ، غير مجهول.

وإنما الكلام فيما يُشغب به على العلماء من عبارات موهمة تصدر عنهم ، يتخذها البعض ذريعة إلى الطعن فيهم ، وتبديعهم ، أو تفسيقهم .

وهذا كما وقع للبخاري - رحمه الله - في مسألة اللفظ ، وكما وقع لأبي نعيم الأصبهاني في مسألة

(١) « الاقتراح » لابن دقيق العيد (ص: ٢٩١).

التلاوة .

وكذلك التشغيب على إمام عُلم فيه اتباع السنة ، والتزامه بالاعتقاد السليم ، إلا أنه قد زل في مسألة من المسائل ، فهذا لا يُشغب عليه بمثل هذه المسألة ، بل الواجب التحذير من القول الذي هو في نفسه زلة أو بدعة ، والاعتذار بالجميل عن هذا الإمام ، وهذا ولا شك بخلاف من اعتقد منهج الأشاعرة ، أو الماتريدية ، أو المرجئة ، أو القدرية ، فالتحذير من هؤلاء وأقوالهم واجب ، مع ذكر ما لهم من الفضل والتقدمة في باقي العلوم ، إعمالاً للإنصاف الذي أمر به الله تعالى في كتابه الكريم ، في قوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المائدة : ٨] .

وهذا السبب - اختلاف العقائد - هو الذي

أوجب ذلك الزحف الأشعري القبوري الجهمي الضال الذي يطل عامًا بعد عام ، يروج له تلاميذ الخوثري الهالك ، من الغمارية، وأتباعهم من الناعقين الجهلة ، كسخَّاف الأردن ، والبائس صاحب « تنبيه مسلم » ، فإنهم ما عملوا على نشر عقائدهم المتفسخة فحسب ، بل وامتطوا صهوة التشغيب على الأئمة في القديم والحديث ، لا سيما الشيخ الألباني - رحمه الله - لأنه حامل لواء السنة في هذا العصر ، إلا أن الله تعالى قد أبطل مقالاتهم ، وأبان عن تدليسهم ، وفضحهم بكتابات أهل السنة في الرد عليهم ، فله سبحانه المنَّة علينا.

ثم **ثالثها** : الحسد ، وهو كثيرًا ما يقع بين الأقران من العلماء ، فيوجب من بعضهم التشغيب على البعض ، كما وقع للذهلي مع البخاري -رحمهما الله-.

وقد قال رسول الله ﷺ :

« **لا حسد إلا في اثنتين ...ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها** » .(١)

فالحسد إن لم يصاحبه تمني زوال النعمة عن صاحبها فهو الحسد المشروع ، وهو الغبطة ، وأما إن تعدى ذلك إلى تمني زوال النعمة ، أو التشغيب على الأئمة ، فهو الحسد المذموم.

ثم رابعها : الحزبية المنتنة ، وهي من أدواء العصر المعضلة ، فإن الالتزام بالأحزاب والجماعات أوجب الولاء والبراء فيها ، لا في الإسلام ، وأوجب التشغيب على المخالفين ، وإن كانوا من أهل العلم والدين ، فنشأت ناشئة يطعنون في أئمة العصر بأنهم لا علم لهم

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٤) ، ومسلم (١/ ٥٥٩) ، والنسائي في «الكبرى» ، وابن ماجة (٤٢٠٨) من طريق : قيس بن أبي حازم ، عن عبد الله بن مسعود به.

بفقه الواقع ، وأن علومهم جامدة ، وأنها مسخرة لإرضاء أولياء الأمور ، وأنها بعيدة عن واقع الناس.

فأما طاعة أولياء الأمور فهي واجبة ، بل مذهب أهل السنة والجماعة وجوب طاعة ولي الأمر في المنشط والمكره ، في العسر واليسر ،وأن لا يُنازع في أمره ، فكيف يُشغب على العلماء اليوم باتباع مذهب أهل السنة والجماعة؟!!

وأما أنهم لا علم لهم بفقه الواقع ، فهي حيلة عصرية اتخذها الحزبيون في الطعن في أهل العلم ، فإن الحزبية لا وجود لها مع تفشي العلم ، وإنما ظهورها يكون عند انصراف طلاب العلم عن حلقات العلم وأهل الصلاح والديانة والحكمة .

وقد كان الأئمة من علماء الأمة لا سيما الشيخ ابن باز ، والشيخ الألباني - رحمهما الله تعالى - من أعلم الناس بالواقع ، ومن أبصرهم به ، فقد أمد الله

تعالى في عمرهم ، وبارك في علومهم ، فلهم من التجارب في الحياة ، والتبصر بأحوال الناس ، ما لا يُنكره إلا جاحد أو حسود.

ثم **خامسها** : الجهل،وهي صفة الغوغاء والعامة، أو أهل الحمق والبله ، وهم جماعة كل ناعق ، وأداة كل مشغِّب.

ثم **سادسها** : إضمار العداوة للإسلام ، وهذا كثير مشاهد اليوم ، فإن تشويه الإسلام لا يتم إلا بالتشغيب على أهله وعلمائه ، ووصفهم بأقذع الأوصاف ، وأسوأ الخصال ، وهذا أتبع إطلاق المسميات الخبيثة عليهم ، واقتضى الطعن في شعائر الدين وسمته مما هو ظاهر لا يخفى.

ثم **سابعها** : طلب الرياسة ، والعجب بالنفس ، ومن ثمَّ ازدراء الآخرين.

ويُروى عن سفيان الثوري -رحمه الله- أنه قال :

حب الرياسة أعجب إلى الرجل من الذهب والفضة ، ومن أحب الرياسة طلب عيوب الناس . [١]

فهذه هي أهم الأسباب التي أوجبت الشغب على العلماء ، وأئمة الدين ، والطعن فيهم ، والتنفير عنهم .

* * *

(١) « طبقات الحنابلة » (٢/ ١٤).

سبل التشغيب على أهل العلم

وأما سبل التشغيب على أهل العلم فعلى طرائق عدَّة ، منها :

امتحانهم في عقائدهم أمام العامة ، كما وقع للإمام البخاري - رحمه الله -.

ومنها : الطعن في بعض مصنفاتهم ، والتشغيب حولها بما يقتضي إسقاط اعتبارها عند طلاب العلم خصوصًا ، والناس عمومًا.

ومنها : دس من يستزلهم بالأغلوطات ، أو من يتتبع زلاتهم مما عُلم عنهم فيها مخالفة الجمهور.

ومنها : غمزهم ولمزهم في المجالس ، لا سيما عند أهل الجهل والحمق ، فإنهم أولع الناس بالتشغيب، وأما مجالس الخير والعلم والسنة فلا مجال فيها

للتشغيب أو التنفير عن أهل السنة.

ومنها : إظهار الامتعاض بذكر العالم ، أو إصدار الحركات التي تدل على عدم الاعتبار له ، أو تحفّز على التشغيب عليه ، كالعض على الشفة السفلى، أو وضع اليد على الجبين إظهارًا للحسرة والألم المصطنعين ، أو تكميم الفم بالكف ، أو نفض الثوب.

وهذه الأخيرة قد فعلها الإمام أحمد رحمه الله ، ولكن مع من ؟ ليس مع إمام عالم سني متبع ، وإنما مع من ظهرت بدعته ، وعُلم عوار مذهبه ، مع ابن أبي قتيلة ، الذي كان يذم أهل الحديث الذين هم حراس الدين ، والطائفة المنصورة التي ذكرها النبي ﷺ، بخلاف من يفعل ذلك في حق من عُلم منه التزام السنة ، والانتساب إلى أهلها.

ومنها : الطعن والتشغيب بالمصنفات ذات الأسماء الرنانة ، وأما مادتها فهزيلة ، قد مُلئت سبابًا وشتماً

وتنفيرًا ، وبهتانًا .

ومنها : التشغيب على بعض الفتاوى الشرعية التي يطلقها أحد الأئمة أو بعضهم ، واتهام صاحبها بأسوأ الاتهامات.

ومنها : استخدام منابر الخير في التنفير عن أهل الخير ، والتشغيب على أهل العلم في الخطب والدروس العامة ، والطعن فيهم ، والادعاء عليهم بما لا يصح عنهم.

وغيرها كثير ، ولا يزال في جعب المنفرين عن أئمة الدين العديد والعديد من هذه الوسائل.

* * *

التشغيب على أئمة العلم وأوعيته
في هذا العصر

ثم إنك لن تجد عصرًا قد خلا من الشغب على أهل العلم ، لا سيما أهل السنة والجماعة منهم ، لأن نفوس أهل الحسد وأصحاب الهوى لايبارحها هذا المرض المزمن ، وهذا الداء العُضال.

فهذا مذموم بائس قد انبرى للطعن في مشايخ الدعوة الذين بذلوا نفائس أوقاتهم ، وكرائم أنفاسهم في الدعوة والتعليم ، والفتيا والإفادة ، والإرشاد ، والصيانة للسنة.

فألف كتابًا ملأه حقدًا وبهتانًا ، وتجنيًا على السنة وأهلها ، ودعوة إلى القبورية ، والاعتقاد في الأولياء بما لم يأذن به الله تعالى ، ولم يأذن به رسوله ﷺ ،

ولا صح عن أحد من السلف ، فأطلق اللسان في أئمة العصر من أهل السنة والجماعة كالشيخ الوالد عبدالعزيز ابن باز ، والشيخ حماد الأنصاري ، والشيخ الألباني -رحمهم الله تعالى - ، وأكثر من التطاول والتجني على الشيخ ابن عثيمين ، والشيخ صالح الفوزان، هذا بالإضافة إلى ما هو معهود على أمثاله من الطعن في الأئمة الكبار كشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله أجمعين - لما هو معلوم عنهم من محاربة القبورية والمغالاة في الصالحين.

فتراه قد أطلق لقلمه - الذي يستمد مداده من غمارية المغرب - العنان في التشغيب على هؤلاء الأئمة بما لا يثبت ، وقد يسَّر الله لي الرد عليه في تشغيباته الساقطة التي أطلقها في كتابي **«هدم المنارة بتضعيف أحاديث التوسل والزيارة»** .

فهذا صوفي أشعري محترق ، قد ظهر فساده وريبه ، وعرفه عموم طلبة العلم.

فما بالك بمن تستر بمذهب السلف ، ورام الطعن في رمز من رموز السنة ، وعلم من أعلامها ، بمسألة الخلاف فيها بينهما يكاد يكون لفظيًا ، وإن لم يكن كذلك ، فالاعتذار عنه بالجميل واجب ، فكما قال الذهبي -رحمه الله - :[1]

« ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه، وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه ، وبدَّعناه ، لقل من يسلم من الأئمة معنا ، رحم الله الجميع بمنه وكرمه ».

ومن التشغيب على العالم بعد موته التشغيب على بعض تلاميذه والمقربين منه ، ممن وافق الإمام أو الشيخ في اعتقاده ومنهجه ، إذ الطعن في التلميذ إنما هو سبيل

(١) « السير » (١٤/٣٧٦).

للطعن في شيخه ، وما هذه من طريقة أهل السنة والجماعة .

ثم أين كان هؤلاء في حياة هؤلاء الأئمة ، وأين كانت عباراتهم الفجة التي تطلق اليوم ، وأوصافهم لهم بالإرجاء تارة ، وبالتجهم أخرى ، وبالقدر ثالثة ، وبعدم الفقه ، وبالظاهرية ، ونحوها من تهم التشغيب والتعيير ؟!!

أو كتلك التهم العجيبة التي ألصقها كثير من جهلة الدعاة بأئمة العصر بعدم فقههم بالواقع ، وأنهم إنما هم فقهاء طهارة وحيض ، لا يتجاوزون ذلك .

وكل هذا أورث طلبة العلم حب الاختلاف ، والطعن في العلماء ، والكلام فيما لا ينفع ، ولو أننا انصرفنا إلى تعلم العلوم الشرعية ، والتنبيه على ما وقع لكل إمام من الأئمة - ممن يُعلم منهم قصد السنة والالتزام بها - من زلات بعبارات لطيفة ، مع الاعتذار

الجميل عنهم في زلاتهم ، والاستغفار لهم لكان أولى من شغل الطلبة بما لا طائل من ورائه ، ولا نفع يُرجى بنشره وترويجه.

فاليوم إذا رأيت من يطعن في أئمة السنة في هذا العصر ، كـ : الشيخ ابن باز ، أو الألباني ، أو الشيخ ابن عثيمين ، أو الشيخ حماد الأنصاري ،فاتهمه في منهجه ، واعلم أن الطعن في أهل السنة ، إنما هو طريق للطعن في السنة نفسها ، وهؤلاء المذكورون وإن كان بينهم خلاف معلوم في مسائل عدة من الدين ، إلا أنهم كانوا لنا قدوة صالحة فيما يجب التحلي به من عذر بعضنا البعض في الاختلاف ، وفي الخطأ ، وحب إصابة الحق للآخرين ، والالتزام بالسنة ، فهلا عود حميد إلى هذه الطريقة السنية ، فالله يرحم الجميع ، ويوفقنا إلى سواء السبيل.

* * *

بين القرناء من العلماء

ثم اعلم أنه وإن وقع بين القرناء من الأئمة والعلماء الاختلاف الذي أوجب الهجران بين بعضهم ، إلا أنهم مع ذلك كانوا أهلاً للإنصاف وترك الإجحاف.

فهذا هو أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان وإن تركا الرواية عن البخاري - رحمه الله - إلا أنهما قد حفظا له حقه ، فقال أبو حاتم : **محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق.**

وأما أبو زرعة فسئل عن ابن لهيعة ، فقال : تركه أبو عبد الله ، فلما أُخبر بها البخاري ، قال :

بره لنا قديم. (١)

وهذا هو أبو نعيم الأصبهاني - رحمه الله - وقد

(١) « تاريخ بغداد » (٢/ ٢٣).

وقع بين وبين أبي عبد الله بن منده ما هو معلوم مشهور، إلا أنه كان منصفًا في وصفه ، فقال - لما ذُكر عنده - : **كان جبلاً من الجبال** ، قال الذهبي :(١)

« فهذا يقوله أبو نعيم مع الوحشة الشديدة التي بينه وبينه ».

ومن ذلك ما كان من الردود بين العلاَّمة صديق حسن خان القنوجي وبين معاصره عبد الحي اللكنوي ، وقد بلغت ذروتها ، ووقع فيها من الشدة ما فيها ، بما يقتضي مخالفة الفطرة ، ومع ذلك لما توفي الشيخ عبدالحي اللكنوي تأسف القنوجي بموته تأسفًا شديدًا ، وما أكل الطعام في تلك الليلة ، وصلى عليه صلاة الغائب .(٢)

---

(١) « السير » (١٤/ ٣٧٦).

(٢) انظر « نزهة الخواطر وبهجة المسامع » لعبد الحي الحسني (٨/ ١٢٦٩).

وأما إن كان الحسد عـاملاً في القلوب ، والهجر مستشريًا بين الأقران ، وكلام كل منهما في الآخر سائر بينهـما فالـذي قرره العلمـاء أنه لا يُقبل كـلام الأقران بعضهم في بعض إلا ببينة عادلة ، وحجة ساطعة.

قال ابن عبد البر -رحمه الله - :[١]

« هذا باب قد غلط فيه كثير من الناس ، وضلت به نابتـة جـاهلة ، لا تدري مـا عليـهـا في ذلك ، والصحيح في هذا الباب أن من صحت عدالته ، وثبتت في العلم أمانته ، وبانت ثقتـه وعنايته بالعلم لم يُلتفت فيـه إلى قول أحد إلا أن يأتي في جـرحته ببـينة عادلة تصح بها جرحته ».

* * *

(١) « جامع بيان العلم وفضله » (٢/ ١٥٢).

الفرق بين النقد العلمي وبين التشغيب

وأختم رسالتي هذه بالتنبيه على أن ثـمة فرق كبير بين النقـد العلمي الرصين الخـالي من ألفـاظ التجـريح والتعـيير بالخطأ والزلل ، وبين التـشغيب والتنفـير على العلماء .

فأما **الأول** : فالباعث عليه الإخلاص ، والغيرة على الكتاب والـسنة ونهج السلف الصالح ، وطريقـته التبـيين على سبـيل النصح ، لا على سبيـل التعيـير ، ومـفـاده إيصـال الحق إلى من أخطأه ، والتنبـيـه على الزلات دون التعرض للأشخاص بالتوبيخ أو التجهيل .

وأمـا **الثـاني** : فقد تقدَّم بيـان مهماته ، بما يغني عن الإعادة هنا .

والأول ممدوح مشروع ، والثاني مذموم ممنوع .

وقد قال أبو القاسم الأصبهاني المعروف بـ «قوام السنة » :

« أخطأ ابن خزيمة في حديث الصورة ، ولا يُطعن عليه بذلك ، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب » . (١)

قال الإمام الذهبي - رحمه الله - :

« أشار بهذا إلى أنه قلَّ إمام إلا وله زلة ، فإذا تُرك لأجل زلته ، تُرك كثير من الأئمة ، وهذا لا ينبغي أن يُفعل » .

(١) « السير » للذهبي (٢٠/٨٨).

وأما مسألة الصورة ، فما تأولها ابن خزيمة ، بل أثبت الصورة لله تعالى ، وإنما ، ذهب إلى أن الضمير في قوله ﷺ : « على صورته» عائد على آدم ، لا على الرب تعالى ، وهذا الاجتهاد لا يقتضي نفي الصورة ، وإنما يقتضي نفي هذه الخاصية عن آدم عليه السلام ، وأما الصورة للرب تعالى فقد بوَّب بإثباتها ، وجرى على مذهب السلف في ذلك ، فقضية حديث آدم قضية مخصوصة، لا=

قلت : ولا يزال العلماء يرد بعضهم على بعض في حلم وسكينة وأناة وإخلاص نية ، وحسن مقصد ، دون التعرض للأشخاص بالتجريح أو التعيير ، إلا ما كان في حق أهل البدع والضلال ،أعاذنا الله من الفتن، والضلال بعد الهدى ،والله يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.

والحمد لله رب العالمين.

وكتب : أبو عبد الرحمن عمرو عبد المنعم سليم

* * *

= تقتضي مخالفته فيه أنه ينفي الصورة للرب تعالى ، وقد تابعه من علماء العصر الشيخ الألباني - رحمه الله - ، وقد فصَّلنا ذلك في كتابنا : « **المنهج السلفي عند الشيخ الألباني** ».

فهرس الموضوعات

* * *



